دلالة الإفراد والجمع في آيات العمل الصالح وثوابه

Significance of singular plural in the verses of good deed and its reward

أ د علاء ناجي المولى **الباحثة/ بشرى حجيم الطائي**

A - Dr. Alaa Naji Al-Mawla **Bushra Hakim Al-Taie**

جامعة الكوفة /كلية التربية للبنات

University of Kufa / College of Education for Girls

الملخص

يدرس هذا البحث دلالة الإفراد والجمع في القرآن الكريم ، ويهدف إلى بيان الفرق بين دلالة المفرد ودلالة الجمع في آيات العمل الصالح وثوابه ، فقد وردت آيات في القرآن الكريم بسياقات مختلفة منها ما اختلفت صيغته بين الإفراد والجمع ، ومنها ماجاء بالصيغة نفسها ، كمقابلة المفرد بالمفرد،ومقابلة الجمع بالجمع ، وهنا في هذا البحث سنتعرض إلى جملة من المواضع التي وازنت اختيار صيغة المفرد والجمع مع بيان أهم دلالتها .

Summary

This research studies the singular and plural denotations in the Holy Qur'an, and aims to clarify the difference between the singular denotation

And the significance of the combination in the verses of good deeds and their Verses in the Noble Qur'an have been mentioned in different contexts reward

What its formula differed between the singular and the plural, including what came in the same formula, such as the singular meeting with the singular, and the .meeting with the singular singular

Plural by plural

.And the combination with a statement of the most important significance

الكلمات المفتاحية : الدلالة ،الإفراد ، الجمع ،العمل الصالح ، الثواب .

Keywords: semantics, singular, plural, good deed, reward

المقدمة

الحمد لله على سوابغ آلائه وتوابع نعمائه والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

ورد في القرآن الكريم آيات قرآنية بصيغ مختلفة ودلالات معينة ، ومن هذه الصيغ التي جاءت بها هذه الآيات هي صيغة الإفراد والجمع ،وللتنوع في هذه الصيغ أهمية بلاغية في الآيات القرآنية، فلكل صيغة أبعادها البلاغية التي لاتقل أهمية عن الأخرى ،لذا أثرنا أن تكون دراستنا لهذه الصيغة دراسة مقابلة بين الإفراد والجمع في آيات العمل الصالح وثوابه.

وقد قسم البحث إلى مقدمة بعدها تناولنا دلالة الإفراد والجمع ،ثم تعرضنا إلى مقابلة المفرد بالمفرد وبيّنا أهم مادلت عليه هذه المقابلة، ثم تناولنا دلالة مقابلة المفرد بالجمع ، وما لهذه المقابلة من اهمية كبيرة في سياق الآيات القرآنية الدالة على العمل الصالح وثوابه ،فالعدول من صيغة المفرد إلى الجمع أهمية بلاغية وهي للتعظيم والمبالغة ،بعدها تناولنا مقابلة صيغة دلالة مقابلة الجمع بالجمع ،ومن ذلك يتبين لنا أن ورود آيات العمل الصالح وثوابه بصيغة المفرد لتدل على التخصيص ،ويليه الجمع ليدل على العموم والشمول ، وجاءت بعد ذلك خاتمة بيّنا فيها أبرز نتائج البحث .

دلالة الإفراد والجمع في آيات العمل الصالح وثوابه:

وردت آيات العمل الصالح وثوابه في القرآن الكريم بسياقات مختلفة منها: ما اختلفت صيغته بين الإفراد والجمع، ومنها ما جاء بالصيغة نفسها كمقابلة المفرد بالمفرد، ومقابلة الجمع بالجمع، لذا ستعرض الباحثة بعض الآيات الكريمة التي وازنت اختيار صيغة (الإفراد والجمع) مع بيان مختصر لها؛ لمعرفة الدلالة العميقة للاستعمال، سأبدأ بقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة:١١٢، المتأمل لهذه الآية المباركة يلاحظ كيف استعمل القرآن الكريم

صيغة الإفراد في هذه الآية، فقد جاء العمل الصالح بصيغة المفرد وهو قوله (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)، وهنا أفرد كلمة (أسلم وجهه)، قال ابن عطية الأندلسي: ((وأسلم معناه: استسلم وخضع ، ودان وخص الوجه بالذكر لكونه؛ أشرف ما يُرى من الأنسان وموضع الحواس، ومنه يظهر العز والذل، وكذلك يقال: وجه الأمر أي: معظمه وأشرفه))[١]، وإذا نظرنا تارة أخرى في الآية ذاتها نجد أن الثواب جاء بصيغة الإفراد أيضاً وهو قوله (فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) أي: ((الذي وعده له على عمله وهو عبادة عن دخول الجنة))[٢].

فجاءت دلالة الآية المباركة على الاختصاص، فقد خص عزّ وجلّ الوجه عن سائر أعضاء البدن لكونه أشرف الأعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود والخضوع وهو من أخص خصائص الاخلاص والإيمان[٣]، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ النساء: ١٣، فإذا نظرنا في تفسير هذه الآية نجد أنها جاءت في بيان طاعة الله عزّ وجلّ في جميع الأوامر والنواهي[٤]، والناظر في مفاتيح الغيب سيجد قولاً في الآية محل البحث، ستعمد الباحثة إلى ذكره، قال الرازي ((إنه تعالى بعد بيان مواريث ذكر الوعد والوعيد ترغيباً في الطاعة وترهيباً في المعصية))[٥]، فإذا نظرنا في تفسير هذه الآية نجد أنها جاءت لبيان قسمة المواريث، فبيّن الله عزّ وجلّ حدود القسمة، ومن ثم خصص أنه (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) بصيغة المفرد الذي تضمن معنى العمل الصالح، فجاء ثوابه بنفس الصيغة وهو قوله (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي: خصص دخول الجنة لمن أطاع الله ورسوله، ثم وصف ثواب الطائعين بقوله (خالدين) الذي جاء بصيغة الجمع، ((واختيار الجمع للإيذان بأن الخلود في دار الثواب بصيغة الاجتماع أجلب للأنس))[٦]، فجاءت صيغة المفرد إلى إبراز معنى الجنسية بخلاف صيغة الجمع التي جاءت لتدل على معنى الشمول[٧].فاستعمل صيغة الجمع في هذه الآية؛ لأن الجمع لأهل الطاعة وهو أهل الشفاعة، وإذا شفع أحدهم في غيره دخلها

معه[٨]، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ الكهف:٨٨، إذ نظرنا في الآية المباركة نجد أنها اعتمدت صيغة المفرد للفظي (وَعَمِلَ صَالِحًا) وهي الأفعال الحسنة من الإيمان بالله والعمل الصالح[٩]، أي: ((من عمل عملاً حسبما يقتضيه الإيمان))[١٠]، قابله الثواب بالصيغة نفسها وهو قوله (فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى) فالمراد من ((الحسنى الخصال وأنه يجازي بالإحسان والثناء))[١١]، فاستعمل صيغة الإفراد للدلالة على العناية والاهتمام بمن آمن وعمل صالحاً، فجاء الإفراد في هذه الآية للتخصيص أي: أعطى خصوصية لمن عمل صالحاً من خلال التكريم لهم بالجنة[١٢]، فجاء ((الإفراد للتعظيم، ويعد من روائع إيثار المفرد))[١٣]، فمن خلال متابعتنا للدلالة التي أفادتها صيغة الإفراد ظهر لنا أنها أفادت التعظيم والتزيد من خلال التعظيم من شأن من آمن وعمل صالحاً فكان ثوابه الجنة ونعيمها.

وجاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل:٩٧، إذا تأملنا في هذه الآية المباركة سنجد لفظ العمل الصالح جاء بصيغة الإفراد وهو (عَمِلَ صَالِحًا) ((من عمل بطاعة الله وأوفى لعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، مصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة))[١٤]، قابله الثواب الذي جاء بالصيغة نفسها، وهو قوله (فلنحيينه حياة طيبة) أي: ((في الدنيا يعيش عيشاً طيباً أما إن كان موسراً فظاهر وأما إن كان معسراً فيطيب عيشه بالقناعة والرضى))[١٥]، فجاءت صيغة الإفراد في هذه الآية لتدل على التعظيم والتكريم في ثواب من آمن وعمل صالحاً من خلال الحياة الكريمة والطيبة التي وعدهم بها، واللافت للنظر في هذه الآية نجدها اعتمدت صيغة المفرد، ثم عدلت عنه لتعتمد صيغة الجمع في قوله (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ) أي: يجزيهم زيادة في الحياة الطيبة ويجزيهم ثوابهم في الآخرة، فجاء بصيغة الجمع لمراعاة جانب المعنى، واستعمل الإفراد فيما

سلف لرعاية جانب اللفظ[١٦]، أي: وعدهم الله عزّ وجلّ بالثواب في الدنيا والآخرة، فاختيار صيغة الجمع وإيثارها على المفرد لمعنى المبالغة أو التكثير في ثواب من آمن وعمل صالحاً[١٧].

دلالة مقابلة صيغة المفرد بالجمع:

بعد أن بينا الدلالة المستفادة من اعتماد صيغة المفرد ننتقل إلى محل ثانٍ من الشواهد القرآنية التي اعتمدت صيغة المفرد في العمل الصالح، أما الثواب المترتب عليه فقد جاء بصيغة الجمع وهذا الانتقال من الإفراد إلى الجمع لا يخلو من الدلالة اللغوية التي ينبغي معرفتها، وسنعرض بعضاً من الأقوال التي ذُكرت هنا، يقول الزمخشري: ((لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من أجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد))[١٨]،

ففي قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة:٦٢. ففي هذه الآية جاء العمل الصالح بصيغة الإفراد وهو قوله (عمل صالحاً) أي: ((من عمل صالحاً حسبما يقتضيه الإيمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك أجرهم الوعود لهم عند ربهم))[١٩]، قابله الثواب وهو (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) الذي جاء بصيغة الجمع، أي: ((أن أجرهم متيقن الثبوت مأمون من الفوات))[٢٠]، فجاءت صيغة الجمع لتدل على العموم باستعمال الضمير (هم) في قوله (أجرهم) لدلالة العموم والشمول للمخلصين[٢١]، وهنا يمكن القول إن الانتقال من صيغة الإفراد إلى صيغة الجمع يُعد من روائع الاعجاز القرآني في وضع الواحد موضع الجمع، للإيحاء بوحدة الهدف والغاية[٢٢].

ومثله قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ مريم:٦٠، نلاحظ في هذه الآية المباركة كيف استعمل القرآن الكريم صيغتي الإفراد والجمع، فقد جاء العمل الصالح

بصيغة المفرد وهو (عمل صالحاً) وقد سُبق بأداة الاستثناء (إلا) التي تفيد الاختصاص[٢٣]، **أي**: ((استثنى من جملتهم من يتوب فيما بعد ويرجع إلى الله ويؤمن به، لصرف أنبياءه، ويعمل الصالحات))[٢٤]، قابله الثواب بصيغة الجمع وهو قوله ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ أي: ((فأولئك يوفون أجرهم، والدليل على ذلك قوله بعده (ولا يظلمون شيئاً) فإنه من لوازم توفية الأجر))[٢٥]، والانتقال من الإفراد في قوله (عمل صالحاً) إلى الجمع في قوله (فأولئك) يدل على أن صدور العمل الصالح من الإفراد إلى الجمع يدل على العموم والشمول في الثواب.

وننتقل إلى موضع ثانٍ من الذكر الحكيم وهو قوله: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ سبأ:٣٧، عند التأمل في الآية المباركة نجد أن العمل الصالح جاء بصيغة الإفراد وهو قوله (**عَمِلَ صَالِحًا**)، ومعنى الآية: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً أي: أن الله عزّ وجلّ خص الإيمان والعمل الصالح هي من تقرّب الإنسان إلى الله عزّ وجلّ[٢٦]، فجاء العمل الصالح بصيغة الإفراد للدلالة على الاختصاص ليقابله الثواب الذي جاء بصيغة الجمع وهو (**فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ**) أي: ((تضاعف لهم حسناتهم على قدر النية والاخلاص))[٢٧]، فعند النظر إلى العمل الصالح نجده قد سُبق بأداة الاستثناء هي (إلا) والتي تفيد الاستثناء أي: استثنى من آمن وعمل صالحاً ليدل على التعظيم من شأنهم، قابله الثواب وهو قوله (فأولئك) وذلك للتنويه والتنبيه على أنهم جديرون بالثواب لما يتصفون به من الإيمان والعمل الصالح[٢٨]، فالتحول من الإفراد إلى الجمع هو للتكثير والمبالغة في الثواب[٢٩].

ونخلص مما تقدم أن انتقال اللفظ من صيغة إلى أخرى هو لتضمنه معنى أكثر مما يتضمنه الأول؛ ((لأن في قوة اللفظ قوة في المعنى))[٣٠]، فتتابع الصيغ على معنى من المعاني لا يعني باللزوم تساويها في الدلالة، بل يبقى لكل صيغة وظيفتها، وهنا لا بدّ للدارس التأمل واكتشاف الأبعاد الدلالية لهذا الانتقال، وعلى الرغم

من أهمية صيغ الجمع وما لها من أبعاد بلاغية في الآيات القرآنية إلا أن الإفراد لا يقل أهمية من حيث الدلالة، فإذا دل الجمع على الشمول والمبالغة والتكثير، فالإفراد يدل على السعة والتنوع؛ وذلك لتنوع مدلولات اللفظ في القرآن الكريم.

دلالة مقابلة صيغة الجمع بالجمع:

عند استقراء آيات العمل الصالح في القرآن الكريم نجد أن للجمع صيغاً متنوعة، ولكل صيغة حضورها الدلالي، والمتأمل في صيغ الجمع يجدها معالم أُسست على أجلى درجات البلاغة والاعجاز وكلما أجلنا النظر كُشف لنا كنز مكنون من النظم القرآني العظيم، وسأتناول بعض المواضع من صيغ الجمع في آيات العمل الصالح وثوابه مستفتحة الحديث بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران: ٥٧، قال الطبري: ((وأما الذين آمنوا بك يا عيسى، صدّقو، عملوا بما فرضت من فرائضي على لسانك، فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملاً، لا يبخسون من شيئاً ولا يُنقصونه))[٣١]، فجاء العمل الصالح بصيغة الجمع بذكر المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، قابله الثواب بصيغة الجمع أيضاً وهو قوله (فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ)، وقال الراغب الاصفهاني: ((الوافي: الذي بُلغ التمام، وفى بعهده يفي وفاء وأوفى: إذا تمّم العهد ولم ينقص حفظه))[٣٢]. وقال ابن حيان الأندلسي: ((علق توفية الأجر على الإيمان وعمل الصالحات تنبيهاً على درجة الكمال في الإيمان ودعاء إليها والتوفية دفع الشيء وافياً من غير نقص))[٣٣]، أي يوفيهم أجورهم كاملة، فقد اعتمد التعبير القرآني صيغة الجمع للدلالة على التعظيم من شأن المؤمنين لأن المؤمن العامل للصالحات عظيم عند الله عزّ وجلّ[٣٤].

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ النساء:٥٧، عند تتبع التفاسير نجد أن الله عزّ وجلّ بعد أن ذكر الوعيد للكافر أعقب بوعد المؤمنين، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله) وعملوا الصالحات من خلال أدائهم ما أُمروا به من الفرائض، واجتنبوا ما حرم الله عليهم من معاصيه[٣٥]، نجد أن العمل الصالح جاء بصيغة الجمع، قابله الثواب بالصيغة نفسها، وهنا جاء الثواب متعدداً وهو قوله (سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا) أي: ((أنه تعالى ذكر في شرح المطيعين أموراً: أحدهما أنه تعالى يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وثانيهما: أن وصفهم بالخلود والتأبيد، وثالثهما: قوله تعالى: (لهم فيها أزواج مطهر) أي: طهارتهن من جميع أقذار الدنيا، ورابعهما: قوله (ندخلهم ظلا ظليلا) وهو المبالغة في نعت الظل))[٣٦]. فنجد أن الله عزّ وجلّ استعمل الجمع في كل من العمل الصالح وثوابه للدلالة على المبالغة والتكثير[٣٧]، فجاء التعبير القرآن لهذه الآية المباركة؛ ليدل على التأكيد والمبالغة في الثواب.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ النساء: ١٢٢. قد مرّ تفسير صدر الآية في هذه السورة، فجاء لفظ العمل الصالح بصيغة الجمع، قابله الثواب بالصيغة نفسها وهو قوله (سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) ((ثواباً على أعمالهم وجزاء إيمانهم))[٣٨]، أما في قوله عزّ وجلّ، ومن أصدق من الله قيلا، فقال الزمخشري: ((ترغيباً للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله))[٣٩]، ((والوجه العام في الإيماء إلى جلالة المقام وعظمته بوضع لفظ الجلالة موضع ضمير المتكلم، وقوله (سندخلهم جنات)، وفي ذلك نكتة أخرى، وهي الإيماء إلى قرب الحضور وعدم احتجابه تعالى عن عبادة المؤمنين وهو وليهم))[٤٠].

بعد الانتهاء من الآيتين المباركتين وما قيل فيهما نجد التكرار واضحاً في هاتين الآيتين، وهنا لا بدّ أن أثبت أن للتكرار فوائد عدة ومنها التأكيد، وقد قيل ((الكلام إذا تكرر تقرر))[٤١]؛ لأن تكرار الكلام يؤدي إلى تثبيته وترسيخه في ذهن المتلقي، فنجد هناك توافقاً بين الآيتين من حيث التأكيد على الثواب وثباته.

وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾**الأعراف:٤٢**، بيّن الله عزّ وجلّ مصير المؤمنين في هذه الآية المباركة بأن لهم الجنة مع عظم محلها يوصل إليها بالعمل والإيمان[٤٢]، فجاء العمل الصالح بصيغة الجمع، قابله الثواب بالصيغة نفسها وهو قوله (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، ((للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم))[٤٣]، فجاءت هذه الآية لتدل على الثبوت والدوام في الثواب، وهذا واضح في قوله (هم فيها خالدون) فتصور الآية حال من آمن بالله وعمل صالحاً وهو انغماسهم في نعيم الجنة الدائم والثابت، وهذا يدل على المبالغة في الترغيب بالجنة ونعيمها[٤٤]، فاستعمل التعبير القرآني صيغة الجمع ((ليكن بدلالته الظاهرة على الكثرة عن قوة الصفة في سبيل المبالغة))[٤٥].

وعند النظر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ يونس: ٩، إن المتأمل في هذه الآية المباركة يجد أن الله يُبين جزاء هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات بقوله (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي إلى الثواب؛ لذلك جعل (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) بياناً وتفسيراً[٤٦] فجاء العمل الصالح بصيغة الجمع ليقابله الثواب بالصيغة نفسها، وهنا دل على المبالغة للتكثير في ثواب المؤمنين.

وبيّن الرازي دلالة صيغة الجمع: ((وأعلم أنه تعالى لما وصفهم بالإيمان والعمل الصالح ذكر بعد ذلك درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم))[٤٧]، فجاء التعبير القرآني للآية المباركة يدل على المتعة والسعاد في الآخرة؛ وبسبب الإيمان والعمل الصالح استحقوا الهداية والتوفيق في يوم القيامة، فدلت صيغ الجمع هذه على التعظيم والمبالغة، في إبراز قدرته تعالى على ثواب من آمن به عمل الصالحات[٤٨]، فيكرمه بالجنة ونعيمها.

وجاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هود:١١، نجد أن العمل الصالح (الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) جاء بصيغة الجمع قابله الثواب (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) الذي جاء بالصيغة نفسها، وتعني ((استثنى الله عزّ وجلّ الذين أهل الإيمان، أي: أنهم لا يفعلون الذي بيّن من فعل المشركين))[٤٩]، بدلالة قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ هود:٩، فإن المؤمنين ((عادتهم أن نالتهم رحمة أن يشكروا، وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا))[٥٠]، فقد قابل الله عزّ وجلّ كثرة صبرهم على البلاء ورجوعهم لله عزّ وجلّ في السراء والضراء وإيمانهم ومثابرتهم على طاعته، قابل الله ذلك بكثرة الثناء عليهم والمغفرة لذنوبهم، ((فجمع الله عزّ وجلّ لهم بين هذين المطلوبين أحدهما: زوال العقاب والخلاص منه وهو المراد من قوله: لهم مغفرة، والثاني: الفوز بالثواب وهو المراد من قوله وأجر كبير))[٥١]، وعند الوقوف على هذا التفصيل نجد فيه عظمة وبلاغة الأسلوب القرآني في اختيار الألفاظ والمعاني،وأن هذا الكتاب الكريم، كما أنه معجز بحسب ألفاظه فهو أيضاً معجز بحسب معانيه[٥٢]، فاستعمل القرآن الكريم صيغة الجمع في كل من العمل الصالح وثوابه ((ليرمز إلى كثرة المجموع تفخيماً في مقام الثناء والمدح، واسجالاً في مقام الأذى والتقديم))[٥٣]. وجاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت:٧، فنلاحظ أن العمل الصالح وثوابه جاء بنفس الصيغة (الجمع) فالعمل الصالح (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قد قابله الله عزّ وجلّ بالثواب المتعدد في هذا الموضع وهو (لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) و (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) وذلك لبيان عظمة

العمل الصالح وهو التكفير عن سيئاتهم بالإيمان والطاعة ويجزيهم على أعمالهم أحسن الجزاء[٥٤]، فجاء العمل الصالح في هذه الآية بصيغة الجمع، قابله الثواب بالصيغة نفسها؛ ولذلك الجمع أهمية كبيرة في الثناء على المؤمنين والتعظيم من عملهم الصالح[٥٥]، وعند التأمل في الصالحات نجد أنها لم ترد مفردة أبداً مع تكرار ورودها جمعاً اثنتين وسبعين مرة في الذكر الحكيم[٥٦]، وفي ذلك تكثير للأعمال الصالحة تمهيداً لمقابلته من الله تعالى بواسع مغفرته ورضوانه، فقابل عزّ وجلّ كثرة العمل الصالح بكثرة تكفيره لسيئاتهم، والتأكيد على مجازاتهم أحسن الجزاء[٥٧].

من ذلك يتبين لنا أن ورود آيات العمل الصالح وثوابه بصيغ مختلفة ودلالات معينة، وهي أن الله عزّ وجلّ يضع صيغة الإفراد لبيان التخصيص، ويليه صيغة الجمع لبيان العموم والشمول والتكثير بالإضافة إلى المبالغة؛ وذلك لبيان عظمة الأمر وثوابه في الدنيا وعظمة الأمر وثوابه في الآخرة.

الخاتمة

بفضل الله وتوفيقه لي تمَّ هذا البحث ،وفي ختامه نتعرض غلى أهم النتائج التي تم التوصل إليها نهاية هذا البحث ومنها

- عمد القرآن الكريم في آيات العمل الصالح وثوابه إلى مقابلة صيغة دلالة المفرد بالمفرد فجاءت هذه الدلالة لإبراز معنى الجنسية بالإضافة غلى التخصيص والثبوت .

- استعمل القرآن الكريم دلالة صيغ الجمع ولهذه الدلالة غرض بلاغي عميق متمثلاً بعظمة وبلاغة الإسلوب القرآني فعمد الله عز وجل لهذه الصيغة للدلالة على المبالغة والتفخيم وإيراد معنى الشمول و العموم .

- العدول من الإفراد إلى الجمع يُعد من روائع الإعجاز القرآني في وضع الواحد موضع الجمع ، للإيحاء بوحدة الهدف والغاية .

- لصيغ الجمع أهمية في سياق الآيات القرآنية ،إلا أن الإفراد لايقل أهمية من حيث الدلالة عن الجمع ، فإذا دلَّ الجمع على الشمول والمبالغة والتكثير ، فالإفراد يدلُّ على السّعة والتنوع ، وذلك لتنوع مدلولات اللفظ في القرآن الكريم .

- **المصادر والمراجع**

القرآن الكريم

.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:أبو السعود العمادي محمد بن محمد مصطفى (ت٩٨٢هـ) ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت .
- أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهاجاً:عبد الغني محمد سعد بركة ،مكتبة وهبه،الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ :محمد الأمين الخضري ،جامعة الأزهر – القاهرة ،الطبعة الأولى ،١٩٩٣م.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة:عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ،المكتبة العصرية ،بيروت – لبنان،٢٠٠٨م.

- أنوار التنزيل وأسرارالتأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)،تحقيق:محمد عبد الرضا المرعشلي ،دار إحياء التراث العربي،بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥م)،تحقيق: صدقي محمد جميل ،دار الفكر ،بيروت،١٤٢٠هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن مهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي(ت١٢٢٤هـ)،تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ،الناشر:الدكتورحسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ .
- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)،تحقيق:محمد أبوالفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العربية،الطبعة الأولى ،١٩٥٧م.
- التبيان في تفسير القرآن: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)،تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،
- التحرير والتنوير"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"،تحقيق: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت١٣٩٣هـ) ،الدار التونسية للنشر والتوزيع ،تونس ،١٩٨٤م .
- الجامع الأحكام القرآن: أبو عبد الله ،محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،تحقيق :أحمد البردوني ،و إبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية القاهرة ، الطبعة الثانية،١٠٦٤هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)،دار التربية والتراث ، مكة المكرمة .
- روح المعاني في تفسيرالقرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(١٢٧٠هـ)، تحقيق : علي عبد الباري عطية ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤١٥هـ .
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي(ت٧٤٣هـ)،الطبعة الأولى،٢٠١٣م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي ،بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٠٧هـ .
- لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن ، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تحقيق : محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى .١٤١٥هـ .

- المثل السئر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير،نصر الله بن محمد (ت٦٣٧هـ)،تحقيق : أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة و القاهرة .
- مجمع البيان في تفسير القرآن : أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ،دار المرتضى ،بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بنتمام بن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)،تحقيق : عبد السلام عبد الشافعي محمد ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ .
- معاني النحو : فاضل صالح السامرائي ، شركة العتاك لصناعة الكتاب، القاهرة،الطبعة الثانية ،٢٠٠٣م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن :محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ،مطبعة دار الكتب المصرية ،١٣٦٤هـ
- مفاتيح الغيب – التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢٠هـ .
- مفردات ألفاظ القرآن : العلامة راغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)،تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ،بيروت ،الطبعة الرابعة ،٢٠٠٩م .
- الميزان في تفسير القرآن : العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشوراتجماعة المدّرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة .

الهوامش

[1]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:١٩٨/١، يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٥/٢، روح المعاني/٣٦١/١.

[2]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:١٤٧/١.

[٣]) يُنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:١/ ١٤٧.

[٤]) يُنظر: المصدر نفسه:١٥٤/٢.

[٥]) مفاتيح الغيب:٥٢٥/٩.

[٦]) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم:١١٢.

[٧]) يُنظر: المصدر نفسه:١١٣.

[٨]) يُنظر: روح المعاني:٤٤٣/٢.

[٩]) يُنظر: مفاتيح الغيب: ٤٩٧/٢١.

[١٠]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٢٤٣/٥.

[١١]) التحرير والتنوير: ٢٧/١٦.

[١٢]) يُنظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم:١١٢.

[١٣]) الإعجاز البياني في صيغ الأفاظ:٧٦.

[١٤]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٢٨٩/١٧، يُنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٤١٩/٣.

[١٥]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:١٣٩/٥.

[١٦]) يُنظر: المصدر نفسه: ١٣٩/٥.

[١٧]) يُنظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم:١١٣.

[١٨]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:١٤/١، يُنظر: البرهان في علوم القرآن:٣٢٥/٣.٣٢٦.

[١٩]) إرشاد العقل السليم إلى مزيا الكتاب الكريم:١٠٨/١.

[٢٠]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:١٠٨/١.

[٢١]) يُنظر: التحرير والتنوير:٥٤٠/١

[٢٢]) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ:٤٥

[٢٣]) يُنظر: معاني النحو:٢١٥/٢.

[٢٤]) التبيان في تفسير القرآن:١٣٦/٧.

[٢٥]) الميزان في تفسير القرآن:٧٨/١١١٤.٧٩.

[٢٦]) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٤١٢/٢٠.

[٢٧]) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:٥٠٠/٣.

[٢٨]) يُنظر: التحرير والتنوير: ٢١٧/٢٢.

[٢٩]) يُنظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ:١٠٨.

[٣٠]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٥٦/٢.

[٣١]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:/٤٦٥، يُنظر: لباب التأويل في معاني التنزيل:٣٥٣/١.

[٣٢]) مفردات ألفاظ القرآن:٨٧٨.

[٣٣]) البحر المحيط: ١٨١/٣.

[٣٤]) يُنظر: المصدر نفسه: ١٨١/٣، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:٤٥/٢.

[٣٥]) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٤٦٥/٦.

[٣٦]) مفاتيح الغيب: ١٠٧/١٠، يُنظر: مجمع البيان في تفسير القرآن:٩٣/٣.

[٣٧]) يُنظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ١١٣.

[٣٨]) التبيان في تفسير القرآن:٣٣٧/٣.

[٣٩]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٥٦٧/١، يُنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٢٣٥/٢.

[٤٠]) الميزان في تفسير القرآن:٨٥/٥.

[٤١]) البرهان في علوم القرآن:١٠/٣.

[٤٢]) يُنظر: مفاتيح الغيب: ٢٤٢/١٤.

[٤٣]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل/١٣/٣،يُتظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٢٢٨/٣.

[٤٤]) يُنظر: أسلوب الدعوة القرآنية: ١٤٠.

[٤٥]) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ:٢٥٧.

[٤٦]) يُنظر :فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبين على الكشاف) ٤٢٦/٧.

[٤٧]) مفاتيح الغيب:١٢٣/١٧.

[٤٨]) يُنظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ:١٠٠.

[٤٩]) تفسير القرآن العزيز:٢٨١/٢.

[٥٠]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٣٨٢/٢.

[٥١]) مفاتيح الغيب:٣٢٣/١٧.

[٥٢]) يُنظر المصدر نفسه:٣٢٣/١٧.

[٥٣]) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ:١٣٠.

[٥٤]) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١٨٩/٤.

[٥٥]) يُنظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ:١٣٠.

[٥٦]) يُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:٤١١

[٥٧]) يُنظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ:١٣٠.